

يفوض « (٢٨) .

وفي ردنا على الإصلاحيين نلخص بعض مآقاله علماء أهل السنة الذين عاصروا أهل الاعتزال قبل بضعة قرون :

١ — قال محمد عبده : « تقرر بين المسلمين ، كافة إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه ، أن من قضايا الدين مالا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على إرسال الرسل ... ويخلص من هذا إلى القول : إن علماء الأمة متفقون على أن العقل أصل النقل » .

ليس صحيحاً ماداعاه من اتفاق بين علماء المسلمين ، بل الصحيح أن كبار علماء خير القرون متفقون على عكس مازعمه ومن أبرزهم : ابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهويه ، وأبو يوسف ، ومالك بن أنس وكثير غيرهم .

بل وليس صحيحاً أن أهل الاعتزال متفقون على أن العقل أصل في ثبوت النقل ، فالمعتدلون منهم قالوا : إنها طريقة صحيحة لكن السلف أعرضوا عنها لطول مقدماتها وغموضها ، وأكد المعتدلون من أهل الاعتزال أنهم يخافون على سالكيها من الشك والتطويل .

فمن أين جاء إمام المدرسة الإصلاحية بهذا القرار والاتفاق ؟! والعقل لا يمكن أن يكون أصلاً في ثبوت النقل ، لأن ماهو ثابت ، ثابت علمنا به أو لم نعلم ، وعدم العلم ليس علماً بالعدم ، وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها .

فثبوت الرسالة ليس موقوفاً على وجودنا أو عقولنا ، أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا . فالعقل إذن ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه لأن المعلوم مستغني عن العلم .

فوحداية الله سبحانه وتعالى ، وأسماءه ، وصفاته ثابتة سواء علمنا بها أو لم نعلم ، وهي مستغنية عن علمنا بها ... وكذلك القول في كتب الله المنزل ، وفي رسله ، وملائكته ...

---

٢٨ — نقل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول عن أئمة أهل الاعتزال في سفره النفيس « درء تعارض العقل والنقل » : ١ / ٤ .